العهد والوعد، من القديم إلى الجديد

الخوري جان عزام

مقدمة

ما هو مفهوم «العهد» في الكتاب المقدس؟

سؤال كبير واساسي لفهم الكتاب المقدس نفسه، كونه «تاريخَ» هذا العهد الذي ما زال يتطور ويتبلور حتى وصلنا الى تحقيقه الكامل في العهد الجديد في شخص المسيح، وبالتالي في الكنيسة، شعب العهد الجديد، الذي به تتحقق كل مواعيد الله وعهوده القديمة.

مع ذلك فدراسة كلمة عهد شكلاً ومضمونا تبيّن الغنى الكبير الذي تتضمنه هذه الكلمة، ولكن في الوقت عينه، يوضح مدى صعوبة تحديد معنى ومضمون هذه الكلمة وبخاصة في العهد القديم. من هنا، ضرورة ان نتوقف في بحثنا عند (I) دراسة كلمة «العهد» في العهد القديم، إن من حيث (١) معناها والتعابير المرتبطة بها، أو من حيث (٢) ارتباط العهد بالوعد، او من حيث (٣) ارتباط العهد بالشريعة والاحكام القانونية؛ أو أخيراً (٤)، من حيث مضمون الوعد الذي بُني عليه العهد وبخاصة الوعد بالارض. ثم ننتقل (II) الى القسم الثاني وهو أقل توسيعاً من القسم الاول، وفيه (١) عرض موجز لمفهوم الانبياء لـ «العهد الجديد» (٢) ولكيفية تحقيقها في المسيح والكنيسة؛ وهنا ايضا (٣) إشارة لا بُدَّ منها إلى موضوع الارض بمفهومها الجديد.

I – في العهد القديم

١) كلمة عهد – «بيريت»

أ – أصل معناها

تميّزت الدراسات الحديثة باختلاف كبير في كيفية ترجمة كلمة «بيريت» من العبرية الى اللغات الحديثة، حتى ان كثيرين باتوا يدعون الى اللجوء الى ترجمات مختلفة بحسب النص والإطار المستعملة فيه هذه الكلمة[١]. وتظهر هذه الاختلافات في الترجمة اختلافات في مضمون كلمة «بيريت» نفسها لدى استعمالها في العهد القديم. وقد بدأت أولى محاولات التمييز في الترجمة السبعينة التي، وان حافظت على استعمال كلمة «دياتيكي» في ٩٣٪ من المرّات، إلاّ انها اضطرت إلى اللجوء الى كلمات أخرى في النصوص المتبقية، مثل كلمة «سينتيكي»، وهي الكلمة التي استعملتها بوفرة اكثر من ترجمة، مثل أكويلا وسيَّماك وتيودوثيون، بالاضافة طبعا الى كلمة «دياتيكي».

من جهته يلجأ الترجوم نفسه الى كلمة أخرى: «قيام»، أي الشريعة والفرائض[٢].

من جهة ثانية، هناك محاولات عديدة للبحث عن اصل الكلمة في العبرية أو في اللغات السامية الاخرى. فمنهم من يرى أنها تأتي من فعل» برَه» ومعناها الاول: أكلَ، ويكون موضع الكلمة الاساسي هو الوليمة التي يختتم بها العهد، مثل تك ٢٦ : ٢٦ – ٣١[٣].

والبعض الآخر يعيد الكلمة الى الفعل نفسه بمعناه الثاني، أي «اختار»، ومنها تطور المعنى الى «قرَّر» و «أسَّس»، وبالتالي يكون العهد فعل تأسيس وقرار إلهي[٤].

١ – BUIS P., *La notion d'Alliance dans l'AT* (Lectio Divina, 88; Paris, 1976) 45.
٢ – *Ibidem.*, p. 44.
٣ – JACOB E., *Théologie de l'AT*, p.152.
٤ – KUTSCH E., "Der Begriff Berit in vordeuteronomischer Zeit", in *Das Ferne und Nahe Wort* (Berlin,1967) 133 - 144.

اما البعض الآخر فيعتقد ان الكلمة مشتقّة من الاشوري «بيريتّو»، وهي نفسها مشتقّة من الأكادي «بيرتو»، ومعناها الرباط او العقد. بهذا المعنى العهد هو عقدٌ ملزم للطرفين. واللغات القديمة والحديثة تستعمل هذا التعبير ايضاً. ففي العربيّة عندنا كلمة «عقد»، وفي الألمانيّة كلمة «بوند»، من فعل «بندِن». واللغات اللاتينية تستعمل كلمة «الليغاري» ومعناها «ربط»[٥].

ب – الافعال المرتبطة بالعهد

إن أهم الافعال المرتبطة بالعهد هي فعل «قطع» العهد، وفي هذا إشارة واضحة الى الطقس الذي كان يرافق العهد، أعني قطع حيوان أو اكثر، وعبور طرفي العهد او واحد منهما بين الحيوانات المقطوعة علامة على لعنة الموت التي تصيب مخالف العهد وخائنه[٦]، وهذا ما نجده ايضاً في مخطوطات «ماري»[٧] (القرن الثامن عشر ق. م.)، ومخطوطات أشورية من القرن الثامن (٧٥٠ ق. م.)

من جهة ثانية، هناك ايضاً عدد كبير من الافعال المرتبطة بالعهد، والفاعل فيها كلها هو الله: «نَتَنْ» (أعطى)، «سِيم» (وضع) «تسيفّا» (أقر)، و«هِقيمْ» (أقام)، وكلها تؤكد المبادرة الإلهية في صنع العهد والدور الاساسي الذي يلعبه هو في تحقيقه.

لذلك، فالله هو الذي «يذْكُرُ «العهد ويحافظ عليه ويحققه (فعل «ذَكَرْ»)، كما في تك ٩: ١٤ – ١٥ ؛ اما الشعب فعليه ان يحفظ العهد (فعل «شمَرْ» و«نَتْصرْ»)، كما في تك ١٧: ٩– ١٠؛ خر ١٩: ٥.

أخيراً، هناك الافعال التي تشير الى إلغاء العهد، مثل فعل «فرَرْ» (نقض)، على وزن مفعيل؛ وفعل «عبَرْ» (تعدّى)، وفعل «حللْ» (دَنس)، و«عزَبْ» (تخلى عن)، و«شكحْ» (نسي، اهمل). كلّ هذه الافعال تعبّر عن فعل إرادي لدى الانسان في تخلّيه عن العهد مع الله، وهذا ينطبق غالباً على كلّ الشعب.

ج – أهم التعابير المرتبطة بالعهد

- إن الامانة للعهد إن من قبل الله أو من قبل شعبه، هي من الصفات الملازمة للاهوت العهد. وأفضل تعبير عن هذه الامانة هي كلمة «حِسِدْ» (حبّ)؛ فهذه هي الصفة التي تدفع بالله للأمانة لعهده، والمفترض انها هي التي تقود الشعب الى الامانة لعهد إلهه.
- ومضمون العهد هو كلمة «دَبر» بمعناها الواسع، إن من حيث كونها كلمة وعد، كما لإبراهيم وداود، أو من حيث كونها مجموعة وصايا وفرائض إلهية مرتبطة بالأمانة للعهد من قبل الشعب. وهذا المعنى الاخير لكلمة دَبَرْ نجده خاصة في لاهوت الاصلاح الاشتراعي في سفر التثنية.
- ومن اللاهوت الاشتراعي ايضا كلمة «توراه»، أي الفرائض الإلهية المفروضة على الشعب لتقوده في «الطريق» الى الحياة وتبعده عن طريق الموت. والتوراة هي العطيّة الإلهية في قلب العهد، لأنها الوسيلة التي تحقق القصد الإلهي من العهد، أي السعادة في الارض التي أعطاهم الله إياها ليعبدوه فيها أمام الشعوب الوثنية.
- ومن التعابير الاخرى المرافقة لكلمة عهد، نجد ايضاً «عدُوت» (شهادة)، «سِفر» (كتاب)، «لوحوت» (ألواح)، وكلّها تساعد على فهم الطابع المكتوب للعهد المبرم بين الله وشعبه. والبعد الكتابي مهم لأنه يحفظ العهد في ذكرى دائمة من خلال إعادة قراءته والتأمل به ومراجعة الاعمال والذات للنظر في مدى تطابقها مع أحكامه...
- ثم هنالك الـ «شبوعه»، والـ «عاله» (القَسَم واللعنة)، بمعنى ان كلّ عهد يترافق مع قَسَم علني واحتفالي، كما أنه يترافق مع إعلان لعنات متعددة ستقع على الذين يخالفون العهد وينقضونه.
- أما مفاعيل العهد فهي غالباً (عدا الارض والنسل التي تتكرر في كلّ العهود) البركة، الحياة، السلام، الخيرات،... (تث ٦–٧)

باختصار، يمكننا القول بأن العهد هو علاقة خاصة بين الله وإسرائيل. وكل «عبادة وثن» تنتقص العهد وتلغيه، اما الذي يحفظه فهو الامانة («حِسِد») المشتركة.

ولكن، هل هناك نوع واحد من «العهود» تميّز علاقة الله بشعبه في كلّ العهد القديم؟

أم يجب التمييز، كما ذكرنا سابقاً، بين المضامين المتعددة لكلمة «بيريت»؟

٥– Loretz O., "Berit - Band – Bund" VI XVI (1966) pp. 239 -241; *Ibidem.*, p. 44.

٦– نجد مثل هذا الطقس في تقاليد مدينة «ماري» والتقاليد الآشورية. راجع تك ١٥: ١٠ ؛ إر ٣٤ : ١٨؛
Noth M., "Das Altestamentliche Bundeschliesser im Lichte eines Mari - Textes", *Gesammelte Studiene* (München, 1960) 142 - 154.

٧– Weidner E., "Die Starsverträge Assurninari VI von Assyrien...", *Archiv für Orientforshung* 8, pp .24 ss.

٢) العهد – الوعد

غالباً ما تشير كلمة «عهد» الى التزام إلهي من جانب واحد، تجاه شخص ما وذريته.

هذا ما يميّز عهود الله مع الآباء ومع داود وكلّ العهود التي يشير اليها ما يُعرف بالتقليد الكهنوتي[٨].

أ – الوعود للآباء

هناك أربعة نصوص تتضمن الكلام عن العهد مع الآباء، وتتميّز كلّها بوعدٍ إلهي معطى لإبراهيم أو له ولإسحق ويعقوب.

- نقرأ في تك ١٥ : ١٨ : «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام عهداً قائلاً : «لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير...». نفهم من خلال النص ان الله يلتزم مع ابراهيم، وعلامة على ذلك، فإنه وحده يمرّ بشكل نار ودخان بين الحيوانات المقطوعة (١٥ : ١٧)، أما ابراهيم فجوابه هو الايمان بكلمة الله ووعده (الآية ٦)، ولكنه لا يمرّ بين الحيوانات المقطوعة، مثلما كان مفترضاً به أن يفعل، لو كنا أمام عهد بين متساوين في حقوق وواجبات هذا العهد! فالعهد هنا هو بالاحرى وعد إلهي، قد يكون بمثابة مكافأة لإيمان ابراهيم.
- في تث ٨: ١٨ يؤكد موسى للشعب بأن البركة التي يمنحهم إياها وارض الميعاد هي تحقيق للعهد الذي قطعه مع آبائهم (المقصود ابراهيم واسحق ويعقوب).
- في نص مز ١٠٥ : ٨–١١ نقرأ : «يتذكر الى الابد عهده، الكلمة التي أوصى بها الى الف جيل، العهد الذي قطعه مع ابراهيم، والقسم الذي اقسمه لاسحق، والذي جعله فريضة ليعقوب وعهداً أبديا لإسرائيل، قائلاً: أعطيك أرض كنعان حصة ميراث لكم». في هذا النص من الواضح التشديد على ان العهد هو قبل كل شيء قَسَم إلهي ووعد بأرض كنعان. فلا يذكر شيئاً عن التزام متبادل أو عقد يربط اثنين (الله والآباء)، بل عن وعد إلهي مجاني. واذا درسنا بتمعّن نصوصاً اخرى مثل عهد نوح (تك ٩: ٨–١٨)، والعهد مع ابراهيم (في تك ١٧: ١–٢٢)، والعهد مع داود (في ٢ صم ٧: ١–١٥)[٩] نجد انها كلها ترتبط بوعد إلهي مجاني تجاه هؤلاء الاشخاص وذريتهم.
- فنص تك ٩ لايتضمن أي طلب من الله الى نوح بمقابل عهده مع الارض وذرية البشرية الجديدة التي يحييها الله من خلال نوح! بل ان الله هو نفسه يقدم لنفسه الوسيلة التي ستذكره بهذا العهد الوعد، أعني علامة قوس القزح، وذلك لكي لايفني الارض مجدداً بالطوفان!
- اما العهد مع ابراهيم، فهو ايضاً في نفس الخط، إذ ان الوعود الالهية بالبركة والارض موجهة الى ابراهيم ومن خلاله الى نسله كعطيّة إلهية غير مرتبطة بالتزام مُسبق من هذا النسل، ولا يوجد في النص أي إشارة الى شروط مسبقة مفروضة من الله على ابراهيم ونسله سوى الختان بكونه علامة لقبول العهد والانتماء لأبنائه (١٧: ١٠ –١١، ١٤) فيكون العهد مع ابراهيم ونسله عهداً مؤبداً مرتبطاً بالوعد الإلهي وضمانته له؛ فهو اذاً عهد غير مشروط، ولكنه في الوقت عينه مشروط وقابل للنقض على مستوى الافراد، بحيث ان كلّ من أراد الدخول في هذا العهد والاستفادة من وعوده، عليه حكماً أن يحقق في جسده الختان كعلامة.
- من جهة عهد داود، فالامر مطابق مع العهد مع إبراهيم ونسله (٢صم ٧: ٩–١١)، وهذا العهد لن ينقض، حتى ولو خطئ إليه واحد من الملوك اللاحقين: والله سوف يؤدبه (وقد يصل الامر الى حدّ نبذه!)، ولكن العهد مع نسل داود وذريته يبقى مؤبدا. وهذا ما نراه في نصوص عديدة مثل ٢ صم ٢٣: ٥ ؛ إر ٣٣ : ١٩ –٢٢ ؛ ٢ أخ ١٣ : ٥ ؛ ٢١ : ٧؛ وبخاصة مز ٨٩ حيث يبدي صاحب المزمور عتباً شديداً على الله يصل الى حدّ اتهامه بأنه هو الذي نقض عهده ووعوده، مذكراً إيّاه بأنه وعد بألاّ تنقطع ذريّة داود ولا يزول عرشه (الآيات ٢٥ و٢٩ – ٣٤).

في مطلق الاحوال، من الواضح ان تياراً أساسياً من العهد القديم ظلّ مرتبطاً بهذا الوعد الالهي وبقي منتظراً تحقيقه حتى بعد السبي وانتهاء السلالة الداودية. ونبوءات زكريّا عن زروبابل هي خير شاهد على هذا الايمان الراسخ بصحة الوعد الإلهي.

٨– VALERON J. J. P., "Bedeutung und Stellung des Wortes Birit im Priestercodex", *ZAW* 12, pp. 1-22.

٩– يظهر أنّ نص ٢ صم ٢٣ هو نشيد قديم جداً، والمرجح أنه أقدم نصّ يتكلم عن وعد الله لداود والعهد الذي اقامه معه ومع نسله. والملاحظ ان هذا النص يتضمن كلمة «عهد» التي لا يتضمنها نص ٢صم ٧، مما يؤكد صفة العهد لهذا النص الاخير. راجع ايضاً إش ٥٥ : ٣؛ إر ٣٣ : ١٩ –٢٢.

هذه النصوص الثلاثة وغيرها تؤكد وجود معنى مميّز لكلمة عهد بمعنى «وعد إلهي» أكثر منها بمعنى عقد بين طرفين (الله والانسان). هذا المعنى اساسي لفهم لاهوت العهد الذي سنصل إليه بعد ان نتوقف عند المفهوم الآخر الاساسي لكلمة عهد، أعني كونها عقداً يلزم طرفيه بمجموعة حقوق والتزامات.

ولكن قبل تفصيل هذا الامر، لا بدّ أن نذكر منذ الآن ان المفهوم الادبي والقانوني للعهد بمعانيه كافة موجود عند الشعوب الاخرى المحيطة بإسرائيل. والنصوص التي وُجدت، غالباً ما تظهر توازياً قوياً بين مفهوم العهد–الوعد في العهد القديم ومفهوم الوعود والعطايا التي كان الملوك يمنحونها لخدامهم ومأموريهم مكافأة على خدمتهم وأمانتهم.

في هذا الصدد لنا نصٌّ من عطيّة أشوربينبال الى أحد خدامه ويدعى بلثيا. وتصميم هذا النص مطابق الى حدٍّ ما مع وعد الله بالمُلك الابدي لداود او بالارض والنسل لإبراهيم وهذه بنيته:

- تقديم الملك ومدحه (الآيات ١– ١٠).
- تقديم بلثيا ومدح أمانته (الآيات ١١– ٢٠).
- إعلان العطيّة الملكية (المكافأة) والضمانات القانونية التي تؤكد استمرارية الحق المعطى له حتى أبنائه ووارثيه بعد موته وبعد موت الملك ايضاً (الآيات ٢١– ٢٩).
- تفاصيل الحق المكتسب (الآيات ٣٠ –٣١).
- التأكيد بعدم نقض هذه العطية الملكية حتى ولو صارت مخالفة جسيمة من أحد ابنائه: الملك يعاقبه ولكن لا يستعيد منه العطيّة[١٠] !

٣) العهد وأحكام الشريعة

رأينا في المقطع السابق أن العهد هو قبل كل شيء «وعد إلهي» يلتزم به الله تجاه ابراهيم أو داود أو غيرهما من الشخصيات الممثّلة لشعب الله في حقبة من الحقبات. ولاحظنا عدم التزام الشخص المقام معه العهد، بأمر ما كشرط مسبق ودائم لبقاء العهد! فالضامن دائما هو الله، وحتى ولو نقِض العهد من أحد سلالة الشخص فإن الله يحاسبه فردياً دون أن ينقض عهده مع السلالة بكاملها. ويبدو ان هذا النوع من العهود هو المميّز لعدد قليل من النصوص التي تتكلم عن العهد في العهد القديم.

من جهة ثانية، يوجد نوع آخر من النصوص وهي أكثر استعمالاً، تتكلم عن «عهد متبادل» بين الله وشعبه، غالباً من خلال وسيط للعهد (موسى، يشوع). وهذا النوع من العهود هو المقام غالباً مع الشعب بكامله وبطريقة مباشرة أي بحضورهم وبجواب موافق منهم، وعمل الوسيط هو إعلان «أقوال الله» للشعب وإيصال «آمين» الشعب لله. ومع أن كثيرين من الباحثين في لاهوت العهد يترددون في الاعتراف بوجود هذا النوع من العهود، ويفضلون الكلام عن العهد بكونه دائماً وعد إلهي[١١]، إلاّ أنّ الامر أكيد من خلال نصوص عديدة لا مجال لذكرها كلها، ونكتفي بالاشارة الى بعضها، ثمّ نتوقف عند نصّين أساسيَّيْن هما خر ١٩ ويش ٢٤.

أ) إن الاشارة الى ضرورة **إلتزام الشعب تجاه العهد** كشرط مسبق لابرامه موجودة بشكل واضح في نصوص عديدة نذكر منها : تث ٢٩ : ١ –٢٠ حيث يدعو الله الشعب الى عبور العهد أي القيام بالطقس الذي تكلمنا عنه سابقاً والذي يلزم طرفي العهد بالامانة المتبادلة تحت طائلة الوقوع في اللعنات المحددة (٢٩: ٩، ١١، ١٢ ؛ و٢٩: ٨). وفي سفر الخروج ٣٤ إشارة ثانية واضحة الى التزام إلهي تجاه شعبه (الآية ١٠)، وبالمقابل الى أمر إلهي صريح لموسى لكي يكتب الاحكام المتعلقة بالعهد والتي يجب على الشعب ان يحفظها ويؤكد قبوله لها قبل إعلان العهد (الآية ٢٧). ويؤكد الانبياء، كإرميا وحزقيال، لاهوت العهد هذا، المرتكز على الالتزام المتبادل بين الله وشعبه، فيقول إرميا: «هكذا يقول الرّب إله اسرائيل : ملعون الانسان الذي لا يحفظ كلمات هذا العهد الذي أمرت آباءكم به عندما أخرجتهم من ارض مصر...أطيعوني واعملوا بما آمركم به لكي أكون إلهكم وأحقق الوعد الذي صنعته لآبائكم بأن أعطيهم أرضاً تدُر لبناً وعسلاً (إر ١١:٣–٦)».

وبدوره يعلن حزقيال ان العهد القائم بين الله وشعبه هو عهد زواج متبادل قائم على الامانة المتبادلة. وصحيح إن الله هو صاحب المبادرة في اختيار اسرائيل وإخراجه من العبودية ورفعه الى

١٠– Buis P., *Op. cit.*, p. 46, et 193-194.

١١– Loretz O., *Ibidem*.

مصاف الشعوب العظيمة، ولكنه بذلك صار «ملكا» لله، ومرتبطاً معه برباط الحب والزواج الذي يمنعه من خيانة العهد (حز ١٦)[١٢].

ب – خر ١٩: ٢–٨[١٣]

يرتكز هذا النص على نوع من العقد الذي يريد الله إبرامه مع الشعب، وموسى هو الوسيط! الآية ٦ اساسية لأنها تؤكد أساس التزام الشعب، وهو أن يكون **مملكة كهنة وشعباً مقدساً**.

تفاسير عديدة أعطيت لهذه التعابير، وأهمها أن الله يطلب من شعبه ان يكون في الوقت عينه شعباً مكرساً له دون أي إله آخر (الوصية الاولى)، وهذا هو معنى القداسة الاساسي (منفصلاً عن باقي الشعوب)؛ لكن في الوقت عينه، ان يكون شعباً كهنوتياً، أي خادماً لعمل الله في التاريخ وفي الامم الاخرى. من هنا معنى الشهادة الذي سيتوضح لاحقاً مع بعض الانبياء وبخاصة أشعيا الثاني.

هاتان الصفتان هما في الوقت عينه شرط ونعمة. شرط: لأن الشعب إن قبلَ بأن يكون كهنوتياً ومقدساً، فهو يعني أنه يلتزم بهذا الرباط الخاص الذي يربطه بالله. وعلامة على ذلك، فإنه يلتزم بالاحكام التي سيعلنها الله له في الوصايا العشرة وباقي الاحكام والشرائع (٢٠ –٢٤). ولكن، هي ايضاً نعمة لأن ذلك يعني أن الله صاحب الارض كلها (آية ٥) يعطيهم الارض الموعودة ويثبتهم فيها ويكونون شعبه الخاص من بين الشعوب كافة.

والملاحظ ان الشعب يجيب موافقاً على أقوال الله، مما يعني الالتزام بالعهد: «كلّ ما يقوله الرّب نفعله!» (الآية ٨).

ج – يش ٢٤

هذا نص آخر شهير من العهد القديم، وفيه احتفال بتجديد العهد بين الشعب الذي امتلك الارض، وبين الله.

وكما في خر ١٩، فهنا ايضاً يجتمع الشعب امام الله في مكان مقدس (شكيم)، ويترأس الاحتفال وسيط العهد يشوع بن نون (كما موسى في خروج)، وهو الذي يعلن كلمات العهد، ويؤكد التزام الله به، ويطلب من الشعب ان يلتزم به صراحة. والملاحظ هنا ايضاً ان العهد يُحفظ مكتوباً، وتقام شواهد حسيّة لذكراه من خلال إقامة نصب تذكارية (يش ٢٤ : ٢٦ – ٢٧ ؛ خر ٢٤ : ٤)؛ ولا ننسَ التحذير الشديد (اللعنة) الذي يطلقه يشوع من مخالفة هذا العهد، وأساسه الله القدوس (كما في خر ١٩) الذي يطلب من شعبه قداسة مماثلة لقداسته (هنا، الطلب ضمني، إذ يحذرهم من مغبة الارتباط بالله وعبادة آلهة أخرى في الوقت عينه : آ ١٩ – ٢٠).

خلاصة

إن اللاهوت الاساسي الذي يرتكز عليه العهد القائم على الالتزام المتبادل، هو ان لا إمكانية للمسيرة الخلاصية التي يصنعها الله إن لم يتجاوب الانسان مع إرادته. من هنا فالاحكام والشرائع هي في الوقت عينه شرط اساسي للعهد، ولكنها ايضاً الكلمة المحيية التي تقود الشعب الى نوال الخيرات الموعود بها في العهد مع الآباء: الارض والخيرات والنسل. ولأن العهد لا يقوم على علاقة عاطفية او نظرية بل واقعية وتتحقق في التاريخ الواقعي، فإن الاحكام والشرائع تبدو المحكّ الاساسي لحسن سير هذه العلاقة بين الله وشعبه، فإن التزم الشعب بكلام الله، فهذا دليل على اقتناعه بأن الله هو مصدر حياته وضمانة سعادته الوحيدة، وبالتالي فإنه مؤمن بأن هذا الكلام، ولو كان صعباً، فهو يصب في مصلحته. أما إذا ابتعد الشعب عن هذه الاحكام والشرائع، فإن هذا دليل على انّ هذه الاخيرة قد تحولت بالنسبة إليه «كلمة» صعبة يصعب فهمها وقبولها، لأن الشعب صار يعتقد أن الحياة تأتيه من مصدر آخر (الاوثان مثلاً!).

مع ذلك، فإن العهد هو بالاصل كلمة وعد إلهي، قائمة على اختيار مجاني منه لإسرائيل ليجعل منه أُمة شاهدة له بين الشعوب الوثنية، ولكي تتبارك به كل شعوب الارض (كما هو في دعوة إبراهيم في تك ١٢). فالعهد اذاً قبل كل شيء عطية مجانية من الله وهو ما سيعود فيؤكده الانبياء لاحقاً، وبخاصة في خلال أزمة السبي (٥٨٧ ق. م.): لقد اكتشف إسرائيل أنه دائم الخيانة لأحكام الله وشرائعه، وعلم أنه لن يصبح وفياً لها وأميناً لعهد الله، الاّ اذا تحوّل من الداخل وصارت الشريعة مكتوبة في قلبه، لا على ألواح من حجارة! (حزقيال، إرميا).

١٢– راجع سفر هوشع المرتكز كلّه على هذا الرباط الزوجي، والذي ترد فيه بطريقة غير مباشرة عبارة تقليدية من عبارات العهد، خاصة من التقليد الكهنوتي : «تكونون لي شعباً وأكون لكم إلهاً» (٢: ١–٣).

١٣– HAELVOET M., "La Théophanie du Sinaï. Analyse littéraire d'Exode XIX-XXIV", *ETL* 29 (1953) 374 -397.

٤) المضمون اللاهوتي للعهد

أ- مقوّمات عامة

هناك مقومات كبرى للعهد الإلهي مع إسرائيل، وقد لمّحنا إليها في المقاطع السابقة، ومنها لاهوت الاختيار الإلهي لإسرائيل ليجعل منه شعباً كهنوتياً وأمة مقدسة تعلن اسمه بين الشعوب الأخرى، ومنها لاهوت المجانية الإلهية في إقامة العهد مع إبراهيم ونسله، دون أن يكون لهم أي فضل سابق، ومنها ايضاً الوعد بالنسل والبركة الإلهية.

ويمكننا ايضاً أن نؤكد على أهمية التعابير المرتبطة بالعهد والتي صادفنا بعضها في ما سبق، ومنها: «تكونون لي» (حز ١٦: ٨)، و«وأكون إلهكم وتكونون لي شعبا»، وترد بطريقة مباشرة حوالي ١٤ مرة، وبطريقة غير مباشرة ٤ مرات[١٤]، وايضاً تعابير مثل «الرّب إلهكم» و «إسرائيل شعب الله»، وهذه الاخيرة ترد أكثر من ٣٥٠ مرة في العهد القديم. كلها اذاً تعابير أساسية للعهد الذي يربط بين الله وشعبه. ومع ذلك، فهناك موضوع أساسي مرتبط بالعهد وملازم له من حيث كونه وعداً إلهياً وفي الوقت عينه ضماناً لتحقيق العهد، أعني الوعد بالارض.

والتطرق الى هذا الموضوع مهم، وإن يكن الوقت لا يسمح بتفصيله تفصيلاً كاملاً، فنكتفي بعرض أهم مقوماته.

ب - الوعد بالارض

يشكّل الوعد بالارض نقطة جوهرية ثابتة في العهد أياً يكن شكله القانوني (عهد –وعد أو عقد يفترض التزاماً متبادلاً). فأساس الوعد لإبراهيم هو : «لنسلك أعطي هذه الارض»[١٥]، وأساس الوعد لموسى(خر ٣: ٨)[١٦]، ومن خلاله لكلّ الشعب في سيناء، هو الوعد بالارض (خر ١٩ : ٥ ؛ تث ٦: ١٠ –١٣).

وعند تجديد العهد بين الله وشعبه في شكيم على يد يشوع بن نون، يحتل موضوع وفاء الله بوعده في إعطائهم أرض الميعاد حيّزاً اساسياً في الذكرى التاريخية الخلاصية التي يسردها يشوع أمام الشعب كلّه، ويردّدها كلّ الحاضرين تمهيداً لإعلان إيمانهم بالله والوعد بالأمانة لعهده (يش ٢٤ : ١٣، ١٨). والوعد لداود أيضاً يتضمن تأكيداً على عطيّة الارض هذه بمثابة مكان يقيم فيه إسرائيل ولا يتزعزع ولا يضطرب من بعد، ولا يعود بنو الأمم يُذلّونه كما كان من قبل» (٢ صم ٧: ١٠).

ج– الارض بمثابة ميراث الله لإسرائيل («نَحَلَة»)

يشدد الكتاب المقدس (العهد القديم) على أن ارض كنعان قد اعطاها الله لشعبه ميراثاً أبدياً[١٧]، ومع ذلك، فإن إسرائيل لم يرث هذه الارض من آبائه، بل هو نفسه يعترف بأنّ سكانها الاصليين هم الكنعانيون، وبأنّ الله قد انتزع هذه الارض من هؤلاء ليعطيها لإسرائيل : «ثم دخلت بكم أرض الأموريين...فأسلمتهم الى أيديكم وورثتم أرضهم» (يش ٢٤: ٨).

فما هو اللاهوت الذي يظهر من خلال هذا التأكيد؟

لا شك إن التشديد على أن إسرائيل قد ورث الارض من سكانها الاصليين بمثابة عطيّة إلهية، هو للتأكيد على مجانية هذه العطيّة وعلى الحبّ الإلهي اللامتناهي الذي اختبره إسرائيل في عطيّة الله هذه. وهذا الحبّ الإلهي المجاني يظهر لا في عطيّة الارض كحدث تاريخي يتذكره إسرائيل عبر العصور، حيث إنّ الله أعطاه أرضاً لم يتعب فيها ومدناً لم يبنها، وكروماً وزيتوناً لم يغرسوها» (تث ٦: ١٠ –١٣ ؛ يش ٢٤: ١٣)[١٨]، بل ايضاً كعطيّة دائمة ومتجدّدة يحتفل بها الشعب في كلّ موسم حصاد واحتفال قطاف العنب والزيتون، وعند كلّ أكل خبز وشرب نبيذ... إنها الخيرات التي يعرف إسرائيل أنه لا ينالها إلاّ لأن الله يعطيه إياها مجاناً. ولذلك، قام الانبياء يبكتون الشعب عندما راح يعبد الآلهة الوثنية ويقدم القرابين لبعل على أنه هو الذي يمنحه خصب الارض والمواسم، ولعشتروت على انها هي التي تكثر نسله (هو ٢: ١٠– ١١). وبهذا نفهم الاحكام التي فرضها الله على شعبه ليحفظ العهد ويستمر في التمتع بخيرات الارض (إر ٢٥: ٥).

من هنا، نصل الى المعنى الاصلي لكلمة ميراث !

١٤– Smend R., *Die Bundesforme*, (Zürich, 1963) 9 -25.

١٥– Beaucamp E., *Les grands thèmes de l'Alliance* (Lire la Bible, 81; Paris, 1988) 67.
وراجع أيضاً تك ١٢ : ٧ ؛ ١٣ : ١٥ ؛ ١٥ : ١٨ ؛ ١٧ : ٨.

١٦– Herrmann J., "KLERONOMOS", *Th DOT*, III, p. 770.

١٧– راجع خر ١٥ : ١٧ ؛ تث ٤ : ٢١ ، ٣٨ ؛ ٢٦ : ١ ؛ مز ٤٧ : ٥ ؛ ١٠٥ : ١١ ؛ ١٣٥ : ١٢ ؛ إر ٢ : ٧ ؛ ٣ : ١٩ ؛ ١٦ : ١٨ ؛ مرا ٥ : ٢ ؛ حز ٣٥ : ١٥ ؛ ٣٦ : ١٢.

١٨– راجع أيضاً مز ١٠٥ : ٤٤ ؛ ٨٠ : ٩–١٠ ؛ ١٣٥ : ١٢ ؛ ١٣٦ : ١٩ –٢٢.

د – الارض هي ميراث الله وإسرائيل مجرّد نزيل فيها

فالأرض هي في الاصل ميراث الرّب[١٩]؛ أليس لكل إله من آلهة الشعوب الأخرى أرضاً؟ فأمورو وآشور هما اسمان من أسماء آلهة الارض التي سميت باسمهم. ومدينة نيبور كانت تدعى أيضاً إنليكي، أي أرض إنليل[٢٠]، غير إن إسرائيل يعترف إن الارض كلها ملك للرّب، ولذلك نجد نصاً في سفر التثنية يقول: « أورَث العلّي الأمم، ووزّع حدود الشعوب على عدد بني الله. ولكن نصيب الرّب شعبه، ويعقوب حصة ميراثه» (تث ٣٢: ٨–٩)[٢١].

وبهذا فإن إسرائيل يؤكد أمرين: من جهة، هو يؤكد أن الله هو صاحب الأرض، وأنّ هذه الارض قد أعطيت مجاناً له[٢٢]، وأنه موجود عليها كضيف لدى الله : «الأرض لي، ولستم سوى غرباء وضيوف عندي» (لا ٢٥: ٢٣ ب)[٢٣]، ومن جهة ثانية، يؤكد ارتباط عطيّة الارض بالغاية التي أعطيت من أجلها، أي أن يكون إسرائيل شعب الله وشاهده بين الأمم.

ولذلك، فإن لاهوت السبي قد ركز كثيراً على أنّ السبّي هو نتيجة طبيعية وقانونية شرعية لتخلّي إسرائيل عن مهمته هذه يوم صار «مثل باقي الشعوب» وصار يعبد آلهتها[٢٤]. وقد رأى الانبياء في السبي مسيرة معاكسة للخروج[٢٥]، وعودة الى الصحراء حيث يستطيع الرب من جديد أن يتكلم مع قلب شعبه ويرجعه إليه (هو ٢: ١٦)، ثم يعيده الى أرض الميعاد في خروج جديد (إش ٤٣ : ١٦–٢١) أعظم من الخروج الاول، حيث تكون عبادة إسرائيل للرّب أبدية وثابتة (حز ٤٣ : ١–٤).

ومع ذلك، فكل تاريخ إسرائيل مطبوع بطابع عدم أمانة شعب الله للعهد الذي أقامه الله معه. ولولا رحمة الله وطول أناته، ولولا أنه ارسل قضاة وأنبياء يعيدون الشعب عن غيه، ويساهمون في تجديد العهود والوعود، لكان مستحيلاً أن يحقق العهد القديم هدفه الاساسي أي الوصول الى العهد الجديد!

II – العهد الجديد بين الوعد والتحقيق

لا أخالني محتاجاً الى التوسّع بهذا الموضوع؛ وباختصار يمكننا القول:

١) «العهد الجديد» في كتابات الانبياء

لا توجد كلمة «عهد جديد» في العهد القديم سوى مرة واحدة عند إرميا (٣١: ٣٣). ولعل الكلمة فيها من الجرأة ما لم يسمح باستعمالها مرة ثانية[٢٦]. في مطلق الاحوال، فإن هذا العهد الجديد يتميّز عن سيناء بأن الشريعة تصبح مكتوبة في داخل الانسان، بل في قلبه! وفي هذا إشارة واضحة الى كون عهد سيناء قد تحوّل الى مجموعة شرائع يحفظها الاسرائيليون في طقوسهم وفرائضهم الدينية، ولكنهم لا يعيشونها في حياتهم اليومية. قال هوشع بأن الشريعة بحاجة الى من يعلمها للشعب، ولكن الكهنة لم يعلموا الشعب تلك الشريعة ولا ساعدوه في حفظها، فوقع في الوثنية (هو ٤). أما إرميا فيؤكد بأن العهد الجديد لن يحتاج الى من يعلّمه، لأنه سيصبح مكتوباً في داخل كل إنسان! في الخطّ عينه، نجد نصوصاً أخرى تتكلم عن تجديد العهد، منها ما نجده في حزقيال ٣٦ : ٢٤ – ٣٠، حيث يشدد النبي على انّ العودة من السبي ستتميّز بعطيّة جديدة لأرض الميعاد، وبعطيّة قلب جديد وروح جديد لشعب الله حتى يتطهروا من نجاستهم وخيانتهم للعهد معه. وهذه الصورة تتميّز بتجديد العهد السابق الذي كان قائما، وسيقوم على هذه المعادلة: «وتسكنون الارض التي أعطيتها لآبائكم، وتكونون لي شعباً وأكون لكم إلهاً» (الآية ٢٨).

١٩– HERRMANN J., *Op. cit.*, . p. 772; LIPINSKI E., *Essai sur la révélation et la Bible* (Lectio Divina, 60; Paris, 1970) 116-120.

٢٠– LIPINSKI E., *Op cit.*, p. 116.

٢١– هناك بعدٌ لاهوتي يؤكد بأن إسرائيل نفسه هو ميراث الله. MUSSNER F., *Traité sur les juifs.* (Cogitatio Fidei, 109; Paris, 1981) 21

٢٢– راجع أيضاً خر ١٥ : ١٧.

٢٣– هذا المبدأ هو في اساس مبدأ عدم بيع الارض في الشريعة الاسرائيلية القديمة، لأن الارض هي الميراث الذي اعطاه الله لكل من ابناء شعبه، وهي في اساس قانون السنة اليوبيلية، حيث كان على الشعب ان يعيد الاراضي المرهونة الى اصحابها الاصليين. Cf. LIPINSKI E., *Op. cit.*, p. 120-121

٢٤– يصوّر حزقيال بشكل مؤثر حدث السبّي، فيصفه بأنه سبيٌ طوعيٌ لله من الارض لأنها لم تعد المكان الذي يعبده إسرائيل فيه (حز ١١: ٢٢ – ٢٣؛ ٢٤–١٦). وحين يغادر الرّب الارض فإنها تعود الى مالكيها الاصليين، أي الى الشعوب الوثنية التي كان الرّب قد طردها من الارض بسبب تدنيسها لها. أفليس من العدل إذاً ان يُقصي الرّب اسرائيل عن هذه الارض لأنه دنّسها بدوره؟ (لا ١٨ : ٢٤ – ٢٨).

٢٥– حول موضوع السبي الذي هو خروجٌ من ارض الميعاد. Cf. MUSSNER F., *Op. cit.*, p. 26

٢٦– MARTIN-ACHARD R., "Quelques remarques sur la nouvelle Alliance chez Jérémie", in *Questions disputées d'Ancien Testament, Méthodes et théologie,* (Leuven, 1974) 145.

هناك نصوص أخرى كثيرة من أشعيا الثاني وملاخي، فيها تلميحات واضحة الى نوع من «عهد جديد» يتحول فيه إسرائيل الى شاهد حقيقي للأمم، وهذه تأتي إليه لتعبد الله في أورشليم[٢٧].

٢) العهد الجديد في المسيحية

إنّ حاجة الانبياء الى تعميق لاهوت العهد باتّجاه ربطه بالقلب والأحشاء، أي بالحب المتبادل بين الله وشعبه، قائم على الاختبار الثابت في التاريخ. إن القَسَم و«اللعنة» وحدهما لا يكفيان لكي يحفظ الشعب شرائع الله ويعمل بأحكامه.

ومع ذلك، فإن ما أعلنه الأنبياء بقي وعوداً تتحقق في الرجاء المسيحاني وفي زمن الخلاص الاخير الذي طالما انتظره إسرائيل. هذا الزمن قد تحقق في يسوع الناصري وفي كنيسته. ولذلك، نجد في العهد الجديد نصوصاً عديدة تذكر انتهاء العهد القديم أمام مجيء العهد الجديد المحقق بدم المسيح. والجماعة المسيحية الاولى اعتبرت بدون تحفظ أنها هي شعب «العهد الجديد»[٢٨]. فالرسالة الى العبرانيين تعلن : إن المسيح قد نال اليوم خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل من الذي قبله، لأنه مبني على مواعيد افضل...فإنه إذ يقول «عهداً جديدا»، فقد جعل الاول قديماً، وكل شيء «قدُمَ وشاخ يصبح قريباً من الفناء»! (عب ٨: ٦– ١٣)[٢٩].

ويوحنا الانجيلي يعلن عن لسان المسيح: «أعطيكم وصية جديدة» (١٣: ٣٤)، وهذا ما كان واضحاً جداً في عظة الجبل التي نقرأها في متى، حيث ان المسيح هو موسى الجديد الذي يعطي الناس عهداً جديداً قائماً على شريعة جديدة واضحة بقوله : «قيل لكم.... أما أنا فأقول لكم» (متّى ٥–٧).

والواضح ايضاً من كلام التأسيس الذي أعلنه المسيح لدى احتفاله لآخر مرة بالفصح اليهودي، حيث بدّل مضمون الفصح القديم الذي كان يذكر خبز الفطير كرمز للعبودية في مصر، فصار مع المسيح جسده المكسور لأجلنا، والخمر الذي كان رمزاً لعطيّة العهد في سيناء وارض الميعاد، فصار مع المسيح العهد الجديد بدمه المهراق لأجلنا (لو ٢٢ : ١٩– ٢٠).

٣) أرض الميعاد الجديدة

إن مفهوم ارض الميعاد كمكان جغرافي محدّد ظلّ صالحاً لأهداف الله الخلاصيّة إلى أن جاء المسيح في ملء الزمن. أمّا بعد المسيح فلم تعد فلسطين ارض ميعاد لأحد، ولا لإسرائيل التاريخي! ولا يمكن لأي شعب ان يدّعي حقّاً إلهياً له على هذه الأرض. هذا، في مفهومنا المسيحي، واضح ولا لبس فيه. أما أرض الميعاد الجديدة، فهي ملكوت الله الذي يذكره يسوع عند رفع كأس الخمر الاولى بقوله: «لن أشرب بعد اليوم من عصير الكرمة حتى يأتي ملكوت الله» (لو ٢٢: ١٨). بهذا المعنى يقول صاحب الرسالة الى العبرانيين : «أما أنتم فقد اقتربتم من جبل صهيون، ومدينة الله الحيّ، أورشليم السماوية» (١٢ : ٢٢). وفي معرض كلامه على اتّباع يسوع في موته خارج أورشليم، يقول: «فلنخرج إليه اذاً في خارج المخيّم حاملين عاره، لأنه ليس لنا هنا مدينة ثابتة، وإنما نسعى الى مدينة المستقبل» (١٣ : ١٤)[٣٠].

خاتمة

العهد القديم كالعهد الجديد هو ثمرة المبادرة الإلهية نفسها وهي مبادرة مليئة بالحب والرحمة تجاه الانسان. كان لا بدّ من عهد أول محدود في الشعب الذي يقبله ويعيشه، ولو بصعوبات جمة، حسب مقتضيات شرائع الله وأحكامه. لأنه هكذا تعلم الانسان الاول شيئاً فشيئاً أن يتعرف الى محبة الله المجانية له. وبعد ان حسب هذا الشعب أنه قادر على مبادلة الله في حبه، إكتشف أنه بدون روح الله[٣١] لا يستطيع أن يحقق دعوته بأن يكون شعب العهد والشاهد للإله الواحد بين الأمم.

إنها طريقة الله التربوية التي قادت التدبير الخلاصي في التاريخ بصبر وطول أناة. ومن خلال دعوة إنسان واحد مؤمن، هو إبراهيم، أوصلنا الى يسوع المسيح، ومن خلال شعبٍ محدودٍ، هو الشعب اليهودي، وأرضٍ محدودةٍ، هي ارض كنعان، أوصلنا الى شعب العهد الجديد، كنيسة الأمم كلّها، حيث لا فرق بين يهودي ويوناني... والى أرض الميعاد الجديدة التي صورتها الارضية هي كل مكان وجدت فيه الكنيسة، وصورتها النهائية ملكوت الله، حيث يصبح المسيح كلاً في الكلّ.

٢٧– حول دعوة الامم الى عبادة الله: Cf. Dion P. E., *Dieu universel et peuple élu* (Lectio Divina, 83; Paris 1975) 73 -84 et 97- 98

٢٨– Anderson B.W., "The New Covenant and the Old.", *The Old testament and the Christian Faith* (London, 1964) 225 - 242.

٢٩– هناك تيارٌ لاهوتي واسع يؤكد بأن الله لم يتراجع عن عهده مع إسرائيل بالرغم من العهد الجديد، وذلك بالارتكاز على نصوص عديدة، منها أع ٣: ٢٥؛ روم ١١: ٢٦ ! ولكن هذا التيار لا يرتكز على المفهوم المسيحي للعهد الجديد بل على المفهوم اليهودي للعهد. Cf. Mussner F., *Op. cit.*, pp. 35-37

٣٠– راجع روم ٤ حيث يبيّن بولس أن المواعد لإبراهيم قد تحققت في ابنائه بالايمان، أي المؤمنين من اليهود والوثنيين. راجع ايضا مقالتي في المجلة الكهنوتية ١ (١٩٩٨) عن العنصرة في أعمال الرسل حيث يؤكد لوقا من خلال وصفه للعنصرة بأنها سيناء جديدة وعهد جديد يتحقق بعطيّة الروح القدس.

٣١– هذا هو لاهوت بولس عن العهد الجديد والشريعة الجديدة القائمة بالروح القدس الذي أعطاه المسيح للكنيسة. راجع ٢ قو ٣ عن دور الروح في العهد الجديد، وروم ٦–٨ عن الشريعة الجديدة بالروح. Cf. Menard C., *L'Esprit de la nouvelle Alliance chez Saint Paul*, (Paris 1987) 97-110